العنوان:	التراث المعماري العربي و أثره في العمارة الاوروبية من خلال الحروب الصليبية
المصدر:	المورد
الناشر:	وزارة الثقافة والاعلام - دائرة الشؤون الثقافية
المؤلف الرئيسي:	العبيدي، صلاح حسين
المجلد/العدد:	مج 16, ع 4
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1987
الصفحات:	166 - 173
رقم MD:	133973
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الحروب الصليبية، التراث العربي الاسلامي، العمارة العربية، العمارة الاوروبية، العالم العربي، اوروبا، البحث العلمي، الفن العربي، الفن الأوروبي، العصور الوسطى، المآذن في الاسلام، العالم الاسلامي، المساجد، الزخرفة الاسلامية، العصر الاموي، العصر العباسي، القصور الاموية، الجسور
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/133973

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

التراث المعماري العربي
وأثره في العمارة الأوربية من خلال الحروب الصليبية

د. صلاح حسين العبيدي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

يمثل التراث العربي الاسلامي حصيلة حضارية ثرة ويسجل في أسفار الامم حضوراً متميزاً له دوره في التأثير وقدرته في الابداع وصورته في التواصل المباشر وغير المباشر .

واذا كانت الاثار الحضارية قد تركت بصماتها بوضوح في كثير من المعالم فأن سمات الفن كانت من ابرز هذه الملامح لما تتصف به من خصوصية وتتميز به من معالم بعد ان اتسعت دائرة الاهتمام به والتأثير بفنيته فأخذ موقعه بين الفنون العالمية وسجل دوره المتميز في التاريخ الواضح في المدارس الفنية والعمارة والصناعات .

وعلى الرغم من التأثير الواضح الذي حققته براعة الفنان العربي وسجلته قدراته الابداعية في الفنون الاوربية بفرعيها التشكيلي والمعماري فأن آراء كثيرة حرص بعض المستشرقين على تأكيدها بدافع التعصب والحسد والجحود فحاولوا تبرير ذلك بحجج لا تسندها الوقائع العلمية ولا تؤيدها الادلة .[1]

والمعروف ان الاوربيين قد عرفوا الفن العربي في العصور الوسطى ممثلا في التحف الفنية التي نقلوها من الشرق او نقلت اليهم كما انهم شاهدوا الكثير من الصنائع التي اقامها العرب المسلمون في بلدانهم فأعجبوا بها وبزخارفها وعناصرها فأقبلوا على تقليدها وكان التقليد في بعض الاحيان صادقاً .

وليس مثل هذا التبادل الفني غريباً فقد اتصل الشرق الاسلامي باوربا في العصور الوسطى بوساطة التجارة اولا والاندلس وجزيرة صقلية ثانيا وبفضل مشاهدات الحجاج المسيحيين ثالثاً واخيراً بواسطة الحروب الصليبية التي حدثت بين سنتي (١٠٩٦ ـ ١٢٧٣ م) .

والحروب الصليبية كما هو معروف آثارها تعصب الغرب لأخراج العرب المسلمين من الارض المقدسة (فلسطين) وقد اتخذها البابا وسيلة للسيطرة على الشرق .

وكانت فرنسا مهبط هذه الحركة اختارها البابا لأعلان الغزو . وقد سار الصليبيون برا وبحرا الى الشرق وحدثت حروبهم في فلسطين وسورية ومصر وتونس وكان عدد الحملات ثمانية وكانت الحملة الثالثة من اعظم الحملات التي نفذها الافرنج اشترك فيها ثلاثة ملوك فيليب اغسطس ملك فرنسا وريكاردوس قلب الأسد ملك انكلترا وفردريك ملك المانيا ، وقد انتهت الحملات الصليبية بانتصار العرب وهزيمة الصليبيين .

وفي هذا البحث دراسة عن التراث المعماري العربي الاسلامي واثره في العمارة الاوربية من خلال الحروب الصليبية .

ومن المعروف ان الحروب الصليبية كان لها نتائج خطيرة وهامة غير النتائج العسكرية والسياسية وهي النتائج الحضارية

من فنية وثقافية وكانت بعيدة المدى عميقة الاثر في اوربا كلها ، وقد استوقفت مظاهر الحضارة العربية انظار الاوربيين خاصة فأخذوا عن العرب الكثير من الفنون الصناعية والمعارف المختلفة فأحبوها وفضلوها على غيرها حتى اصبحت جزءاً من فنونهم وعلومهم ومعارفهم .[٢]

وليس من شك ان الحروب الصليبية لعبت دوراً مهماً في نقل الكثير من سمات العمارة العربية الاسلامية الى اوربا بواسطة الجنود واصحاب الحرف والصناع والمهندسين والمعماريين الذين كانوا ضمن تلك الحملات الصليبية والتي كانت تأتي الواحدة منها تلو الأخرى ويعود منها من بقي على قيد الحياة الى موطنه ليزاول فيه مهنته وحرفته متأثراً بما رآه وانطبع في ذهنه من تقاليد فنية عربية واسلامية وظهر اثر ذلك واضحاً في فنون العصور الوسطى في اوربا .[٣]

فقد اقتبست اوربا كثيرا من عناصر العمارة العربية وبشكل خاص الفن القوطي الذي اشتمل على عناصر ترجع اصولها الى بلاد الشرق ويسمي المهندس المعماري الانكليزي « ورن » تلك العناصر باسم « العناصر الاسلامية »[٤] وقد تأثر هذا المهندس بالعمارة العربية الى درجة انه اخذ ينتفع من عناصرها عند تصميم الابنية . ومن العناصر المعمارية التي استغلها عند تشييد ابراج كنائسه ، المآذن الاسلامية كما يتضح ذلك في كنيسة سانت ماري لوباو بلندن[٥] .

كما اثرت المآذن الاسلامية في تصميم ابراج النواقيس الايطالية في عصر النهضة فقد كان للمآذن الاندلسية وخاصة لمئذنة المسجد الجامع بقرطبة ومئذنة مسجد اشبيلية المشهورة اثر بليغ على ابراج الكنائس الاسبانية سواءا من حيث اشكالها المربعة القاعدة الشاهقة الارتفاع او من حيث امتداد الزخارف عليها من عقود مفصصة صماء متشابكة ونوافذ مزدوجة[٦] .
(شكل ١)

ومن الجدير بالذكر ان اسم المنارة ما زال مستخدما في الكثير من بلدان العالم الاسلامي وهو الاسم الذي عرفته اوربا الغربية Minaret[٧] .

كما اخذت العمارة الاوربية بعض العناصر المعمارية العربية ومن هذه العناصر العقود ومنها العقود المدببة وهي من العناصر المعمارية الهامة التي اخذها الاوربيون عن العرب وكان لها أثرها البعيد في العمارة الاوربية ويعتبر العراق البلد الذي نشأ فيه هذا النوع من العقود وكان ذلك في حصن الاخيضر ثم ظهر بعد ذلك في قصر الجوسق الخاقاني في سامراء وفي المسجد الجامع بالقيروان وفي مقياس النيل بالروضة في مصر ولم يكن هذا النوع من العقود معروفا عند الاوربيين فلما وقفوا على اهميته في البناء نقلوه عن العرب واستخدموه في كنائسهم نذكر منها على سبيل المثال كنيسة (سان فرون) في مدينة (بيريجيو) في فرنسا[٨] .
(شكل ٢)

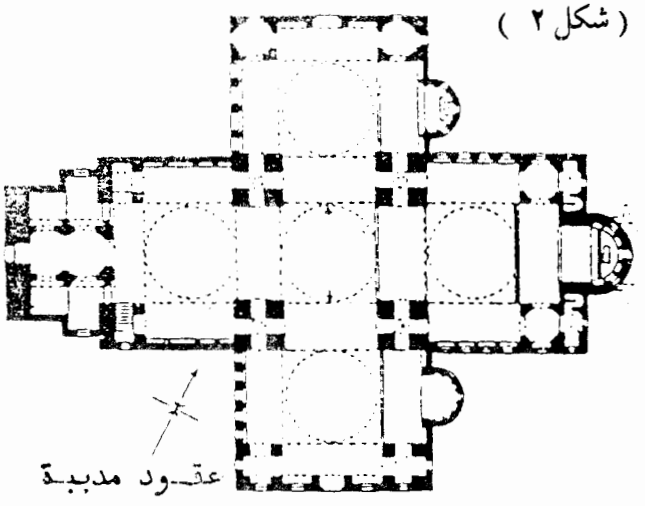

ومما يستوقف نظرنا في هذه الكنيسة انتشار العقود من النوع المدبب مما يؤكد وصول التأثيرات العربية الاسلامية الى فرنسا من الشرق الاسلامي عن طريق الحروب الصليبية وليس من الاندلس التي يندر فيها وجود العقد المدبب اذ كان النوع السائد في عمارتها هو العقد نصف الدائري من نوع حدوة الفرس ، وفرنسا كما هو معروف كانت من البلاد التي خرجت منها الحملات الصليبية الاولى .[٩]

ومن انواع العقود الاخرى التي تميزت بها العمارة العربية الاسلامية النوع المعروف بالعقد المنفوخ وظهر هذا النوع لاول مرة في المسجد الاموي في دمشق ثم انتشر الى سائر انحاء العالم الاسلامي ، وقد اقتبس الاوربيون هذا النوع من العقود فظهرت آثار هذا الاقتباس في أديرة وكنائس المستعربين مثل كنائس (بوباستـرو) (Bobstro) و (سان ميجيل دي اسكلادا) وظهر العقد المنفوخ في كنائس فرنسا مثل (سانت الزبيده

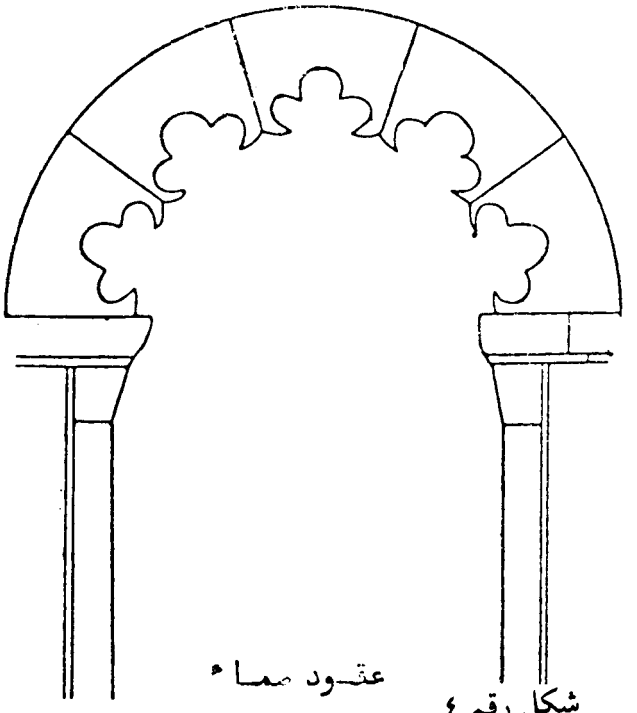

شكل رقم ٤

كوبزاك) . (Saint Andre de Cubzoc) وكنائس اخرى في جنـوب ايطاليـا مثل (سـانتا مـريا ان تلس) Santa) Maria in Collis)[١٠] .

كما اخذ الاوربيون عن العرب العقد المفصص وهي عقود قصت حوافرها الداخلية على هيئة سلسلة من انصاف دوائر او على هيئة عقد من انصاف فصوص .[١١]

وهذا العقد كان منتشرا في العمارة العربية الاسلامية فظهر اول ما ظهر في القصور الاموية في بادية الشام مثل قصر الحلابات وقصـر الطوبـة . ومن العصر العبـاسي وصلت امثلة منه في قصر العاشق في سامـراء وفي الرقـة كما شـاع استخدامه في العمائر في الاندلس وخاصة في مسجد قرطبة الجامع ، وتقابلنا أمثلة منه في العمارة الاوربيـة في كنائس (شاسبوزاك) (Chaspuzoc) و (كراوس) (Cruass) ومـواسلك (Maissac) وكاتـدرائية (كليـرمونت) وديـر (كلوني) (Cluny)[١٢]

بقي ان نذكر ان للعرب الفضل الاكبر ايضا في ادخال العقود الصماء المنفرجة الى اوربا فكان لها اثرهـا البعيد في العمـارة الاوربية كـما يتجلى ذلـك في كاتـدرائية « درام » Durham التي شيـدت في سنـة ٤٨٦ هـ - ١٠٩٣ م وفي كاتدرائية نورويش Narwich التي شيـدت عام ٥١٣ هـ - ١١١٩ م[١٣] (شكل ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧) .

وعند تشييد الحصون والقلاع والمدن الغربية ادخلت فيها وسائل دفاعية كثيرة عاد بها الصليبيون الى بلادهم . ومثل هذه الوسائل الدفاعية العسكرية قـد استخدمت في اسوار المدن الالمانية والقلاع الانكليزية والحصون الغربية ، ومن هذه الوسائل المداخل المنكسرة او ما يسميه المؤرخون العرب بالباشورة وبـالانكليزيـة Machicoulis[١٤] (شكل ٨ ، ٩) والمداخل المنكسرة هي التي ينعطف فيها بالداخل يمينا ويسارا مرة او عدة مرات وذلك لعرقلة هجوم من يحاول اقتحام الحصن او القلعة وتجعل العدو هدفاً سهلاً للمدافعين واقدم امثلة لهذا العنصر المعماري ظهـر في ابواب بغـداد المدورة التي بناها الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور .[١٥]

ونشاهد امثلة من هذه المداخـل في فرنسـا اكثر من غيرها من الاقطار الاوربية وذلك في (Carcassonne) .

كما تظهر المداخل الملتوية في انكلترا ، وهنـاك مثال جيد لها في (Beaumaris)

كما اقتبس الاوربيون من العرب الجسور او القناطر المتحركة فوق الخنادق التي تصل بين الابواب وبين ضفاف الخنادق المحيطة بهـا بحيث يمكن رفعها بسهـولة في حـالة تعرض المدينة او الحصن لهجوم الاعداء .[١٦]

ولم يقتصر تأثر اوربا عـلى ما تقـدم بل تعـداها الى اتخاذهم اساليب دفاعية كانت معروفة في العمارة العـربية الاسـلامية منهـا فكـرة الابـواب المصنـوعـة من القضبـان الحديدية القوية المتشابكة . وتنتهي من اسفلها بسنان حادة كالحراب وتنـزلق بثقلها الكبـير رأسيا ولا يمكن رفعهـا الا بواسطة الحبال والبكرات من داخل الحجرات المعدة لذلك فوق الابواب .[١٧]

اما العنصر الدفاعي العربي الاخر الـذي انتقل الى اوربا فهو ما يعرف بالسقاطة ، والسقاطة عبارة عن شرفة تبرز عن وجه جدران الاسوار تحاط بالبناء وتحملها كوابيل بارزة وبها مزاغل وهي على نوعين مزاغل عمودية واخرى افقية ، والعمودية تكون عادة في ابراج وحنايا جدار الحصن

وهي تستعمل لرمي السهام ، واما النوع الثاني من المزاغل وهي الافقية فتكون في ارضية سقف مدخل الحصن وهذه المزاغل تستعمل لسكب سوائل محرقة او ملتهبة كالماء والزيت الحار او القار او النار او اي شيء آخر يمنع جماعة الاقتحام من الوصول الى داخل الحصن ، كما توجد مثل هذه المزاغل في ارضية ابراج الحصن نفسه ، وهي تؤدي نفس المهمة التي تؤديها المزاغل السابقة اذ تمنع عملية تسلق الاعداء الى اعلى الحصن او حفر الجدار بغرض الوصول الى داخل الحصن ،[١٨] (شكل ١٠)

وهذه الظاهرة العسكرية الدفاعية اي السقاطة كما يقول « كريزول » لم تعرف في اوربا قبل القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) وانها انتقلت الى اوربا بتأثير العمارة العربية الاسلامية عن طريق الصليبيين ، وقد قلدها الانكليز في القضبان والسياجات المعدنية[١٩] .

كما ان الصليبيين الذين شيدوا في الارض المقدسة الكنائس والقلاع الجميلة قد تعلموا من العرب شيئا من التحصين وعمل الاستحكامات .[٢٠]

كما عرفت العمارة الاوربية طريقة ملء الشبابيك والفتحات بألواح زخرفية من الزجاج الملون المجمع على بعضه بضلوع من الرصاص وهي فكرة مقتبسة من الشمسيات العربية وهي الواح من الحجر او الرخام او الجص وضعت في الشبابيك وزخرفت بتفريغ الزخارف فيها وكانت من فئة الزخارف الهندسية في اول الامر ثم دخلتها الانواع الاخرى من الزخارف مثل النباتية والكتابية وبعد ان كانت تلك الالواح مفرغة تماما زاد عليها مع التطور صنع قطع من الزجاج الملون سدت بها الاجزاء المفرغة . فابرزت زخارفها وجمال تكويناتها . الا ان الصليبيين اضافوا رسوما والوانا الى قطع الزجاج ليخرجوا منها لوحات تصور القصص المسيحية والمناظر المختلفة[٢١] .

كما اخذت اوربا عنصراً معمارياً آخر هو المحاريب وبخاصة المحاريب التي تشبه الاصداف والتي ظهرت في عصر النهضة تقليداً لما هو موجود في المساجد الاسلامية .[٢٢]

وقبل ان نغادر هذا النوع من العناصر المعمارية احب

شكل رقم ٥

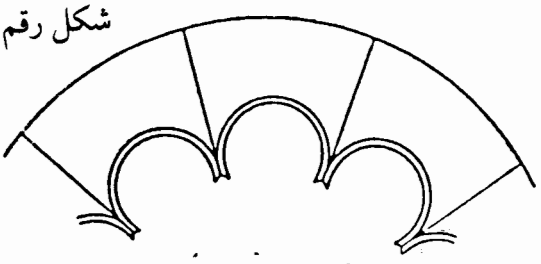

بوابة كنيسة بلاساك في لواء الشارانت السفلى ـ فرنسا

شكل رقم ٦

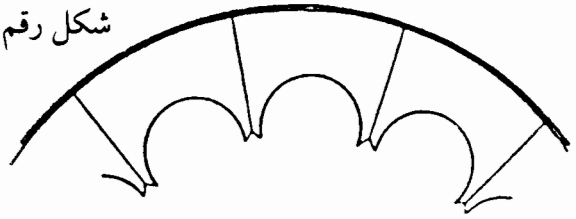

بوابة كنيسة لابيل دنواز في لواء كروز ـ فرنسا

شكل رقم ٧

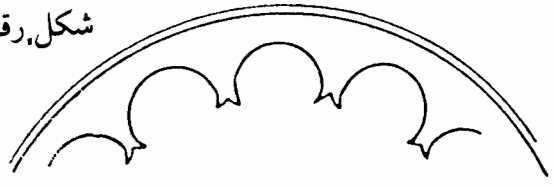

بوابة كنيسة شنييه في لواء الشارانت ـ فرنسا

عقود مفصصة مقتبسة من الفن الاسلامي

ان اشير الى رأي طالما حرص المستشرقون على تأكيده وهو ان محراب المسجد منقول من حنية الهيكل او الكورس في الكنيسة وهو قول بينه وبين الواقع بون شاسع .

والحقيقة ان الاختلاف كبير بين محراب المسجد وحنية الكنيسة واذا كان هناك وجه شبه بينهما من حيث ان كلا منهما اشبه بنصف دائرة فان المهم في امور العمارة ليس مجرد الشكل بل الاهم من ذلك هو الوظيفة . فحنية المسجد كان صغيرا لا يسمح بوقوف اكثر من شخص واحد وهو الامام الذي يتولى امامة المسلمين في الصلاة ولم يكن من الضروري ان يقف داخل تجويف المحراب في حين ان حنية الهيكل في الكنيسة تشغل مساحة كبيرة قد تصل الى ١/٣ حجم الكنيسة وهي دائما على هيئة حنيات كثيرة يوجد بها المذبح وتجرى فيها الطقوس التي يقوم بها رجال الدين**ومساعدوهم**الذين يقومون بأداء مراسيم الصلاة حول المذبح . فليس الغرض اذن من المحراب ان يؤدي في

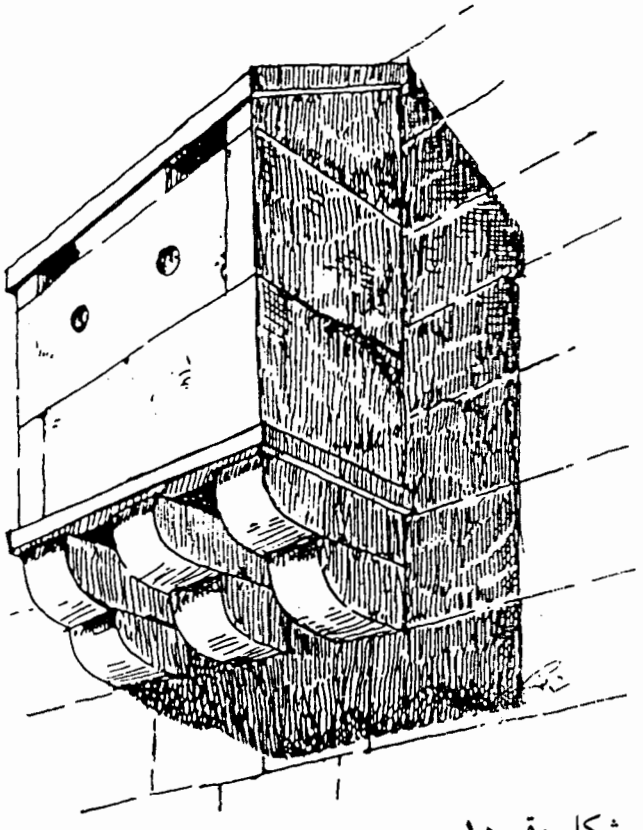

شكل رقم ١٠

المسجد وظيفة كالتي يؤديها الهيكل في الكنيسة كل ذلك يعزز استبعاد ان يكون مصدر المحراب المجوف المنحني هو هياكل الكنائس .[٢٣]

واما الشرفات الزخرفية والمخرمة وهي شرفات بارزة لها جدران من البناء توضع في الاسوار وخاصة فوق الابواب فأتت الى القاهرة من العراق[٢٤] وانتقلت منها الى اوربا ، ومن المحتمل ان يكون مهندسو قصر الدوق وغيره من القصور الاخرى في البندقية قد تأثروا بها[٢٥] .

وكما تدين العمارة البيزنطية بالفضل للعرب الشاميين في ابتكار المثلثات الكروية في مناطق الانتقال وهي المثلثات التي انتشرت في الطراز البيزنطي (شكل ١١ ، ١٢ ، ١٣) فانها تدين ايضا بالفضل من ناحية اخرى للعرب العراقيين في تزويدها بالأبتكار الثاني لمنطقة الانتقال وهو حنية الاركان وهو على هيئة نصف قمع او مخروط تبلغ زاوية رأسه (٩٠°) ووضع على جنبه بحيث ينطبق كل من جانبيه المستقيمين على ضلعي زاوية مربعة للمنطقة التي ستغطى[٢٦] .

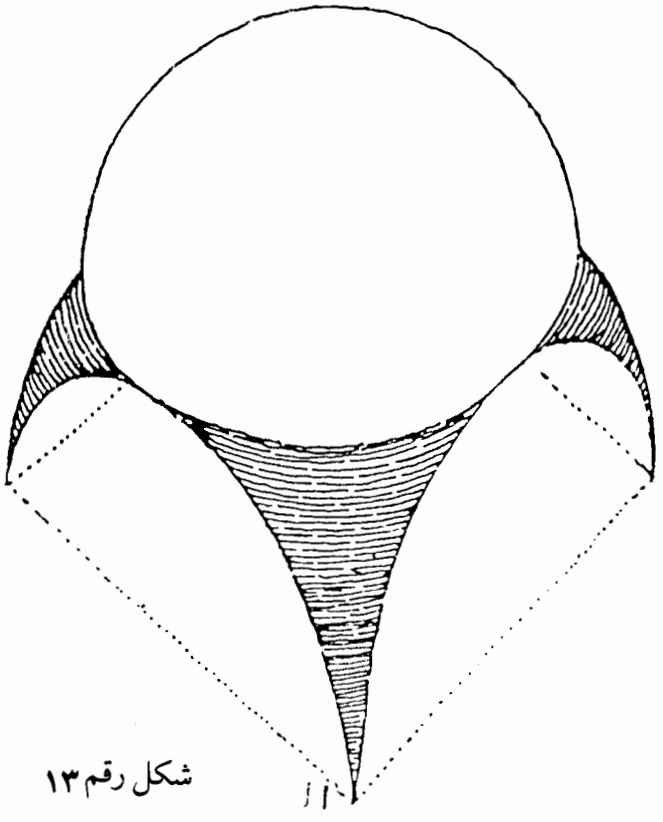

شكل رقم ١٣

ونلمس في العمارة البيزنطية شكلاً لحنية عربية اسلامية ركنية تعرف بالمقرنصة وهي على هيئة حنية مجوفة ذات رأس من قبة نصف دائرية ويحملها احيانا عمودان[٢٧] (شكل ١٤)

والمقرنصات في نظر معظم الباحثين ظاهرة عراقية ظهر اول مثل لها في العصر العباسي وكان ذلك في مدينة سامراء وفي القصر المعروف بالجوسق الخاقاني الذي بناه الخليفة المعتصم عام (٢٢١ هـ - ٩٣٦ م) .[٢٨]

ويبدو ان سبب ابتكار هذه المقرنصة عند العرب هو الاقلال من استعمال المثلثات الكروية .

وانتقلت الى العمارة الاوربية من العمارة **العربية** النوافذ الصغيرة رؤوسها ذات الفصوص . واقدم مثل لهذا العنصر ظهر في الجدار الجنوبي في الجامع الكبير في سامراء .

وهكذا لم ينتصر العرب في هذه الحروب في ميداني الحرب والسياسة حيث انتهت بهزيمة الفرنج وحسب ، بل وانتصروا في ميدان الحضارة وقد تمثل في سيادة الفن المعماري العربي في المنشآت الاوربية في عصر النهضة .

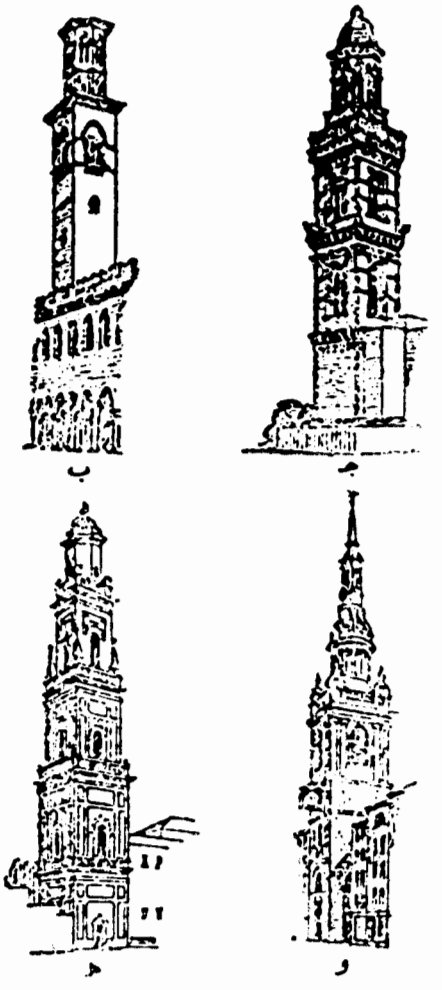

شكل رقم ١

(ب) برج في مدينة فيرونا من القرن الثالث عشر الميلادي .
(ج) برج في مدينة سيوليتو من القرن الرابع عشر الميلادي .
(هـ) برج في مدينة لسكة Lecce بايطاليا من القرن السابع عشر الهجري .
(و) برج كنيسة St Mary le Bow بلندن من القرن السابع عشر الميلادي .

عن كتاب فنون الاسلام للدكتور زكي محمد حسن

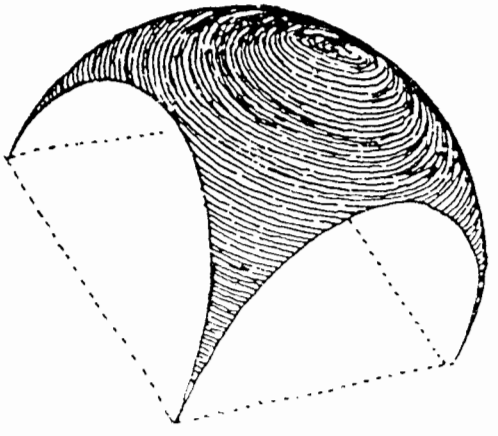

شكل (١٢)

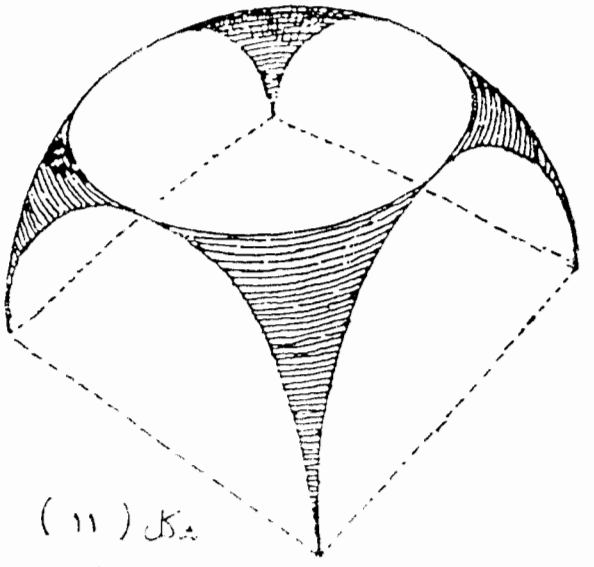

شكل (١١)

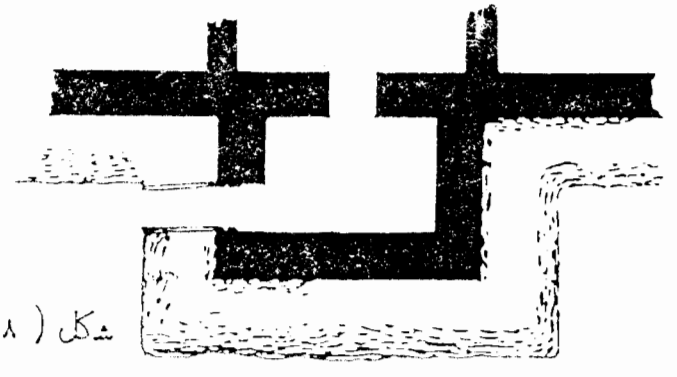

شكل (٨)

الباشورة (مسقط)

عن كتاب العمارة العربية في مصر للدكتور فريد شافعي

شكل رقم (٣)
عقود مدببة
عن كتاب العمارة العربية الاسلامية في مصر للدكتور فريد شافعي

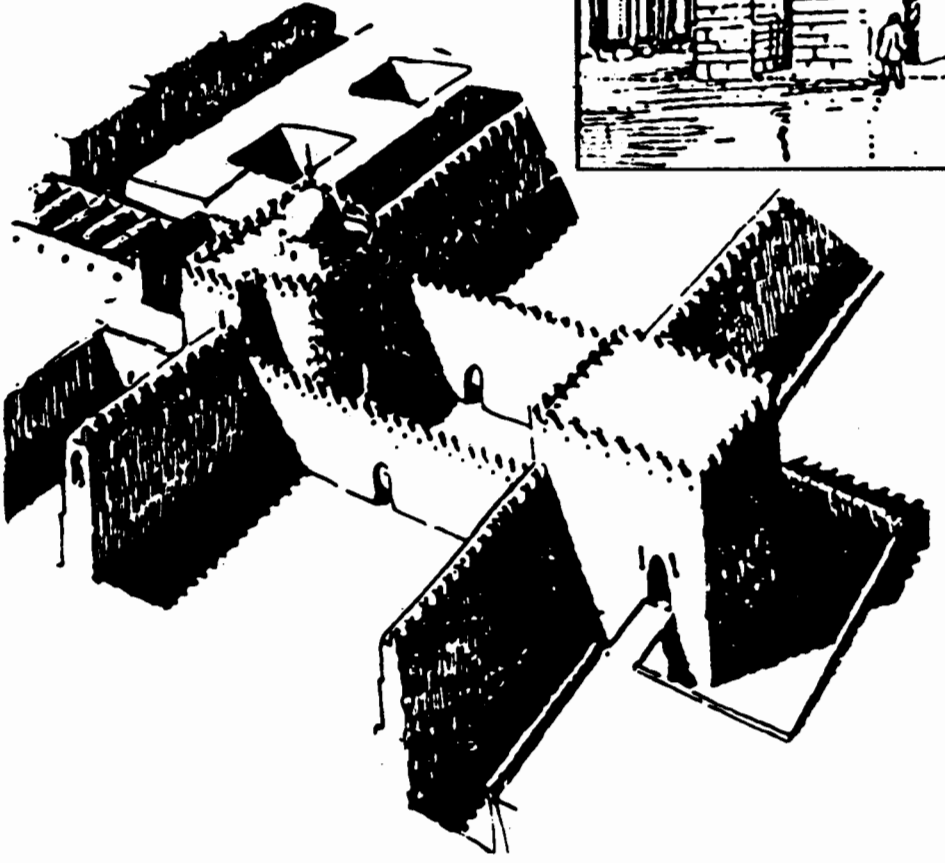

شكل رقم (٩)

بغداد اسوار مدينة المنصور المدورة والمدخل المنكسر (الباشورة) عن كتاب العمارة الاسلامية في مصر للدكتور فريد شافعي

شكل (١٤)

الحنية الركنتية في باب العامة في قصر الجوسق الخاقاني في سامراء
عن كتاب العمارة العربية في مصر للدكتور فريد شافعي .

الهوامش

١١ . فكري ، المصدر السابق ص ٧٣ .
١٢ . فكري ، المصدر السابق ص ٧٤ .
١٣ . فكري ، المصدر السابق ص ٧٥ .
١٤ . شافعي ، المصدر السابق ص ١٩١ .
١٥ . شافعي ، المصدر السابق ص ١٩١ .
١٦ . شافعي ، المصدر السابق ص ٢٧٤ .
١٧ . شافعي ، المصدر السابق ص ٢٧٤ .
١٨ ـ العبيدي ، صلاح الاثار العربية الاسلامية ص ٥٠٩ ـ ٥١٠ .
١٩ ـ شافعي ، المصدر السابق ص ١٩٥ .
٢٠ . العبيدي ، صلاح ، الاثار العربية الاسلامية ص ٥١٠ .
٢١ . شافعي ، فريد ، المصدر السابق ص ٢٧٢ .
٢٢ . العبيدي ، صلاح ، الاثار العربية الاسلامية ص ٥٠٩ .
٢٣ . شافعي ، فريد ، المصدر السابق ص ٥٨٤ ـ ٦٢٤ وانظر عبدالحميد ، سعد زغلول ، المصدر السابق ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ .
٢٤ . العبيدي ، صلاح ، الاثار العربية الاسلامية ص ٥١٠ .
٢٥ . كرستي ، الفنون الاسلامية الفرعية وتأثيرها في الفنون الاوربية . تراث الاسلام ج ٢ ص ١٤٦ .
٢٦ . شافعي ، المصدر السابق ص ١٤٣ .
٢٧ . شافعي ، المصدر السابق ص ١٤٤ .
٢٨ . شافعي ، المصدر السابق ص ١٤٤ .

١ . العبيدي ، صلاح . الاثار العربية الاسلامية واثرها في الفنون الاوربية في عصر النهضة . مجلة كلية الآداب ـ جامعة بغداد . العدد الثالث والعشرون . أ ب ١٩٧٨ ص ٤٧٣ .
٢ . العبيدي ، صلاح ، الفنون الزخرفية العربية الاسلامية منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (مطبعة جامعة بغداد ١٩٨٦) ص ١٧٤ .
٣ . شافعي ، فريد ، العمارة العربية في مصر الاسلامية (عصر الولاة) الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (١٩٧٠) المجلد الاول ص ٢٧٠ .
٤ . كرمب وجاكوب ، تراث العصور الوسطى ، الناشر مؤسسة سجل العرب ص ٨٩ .
٥ . العبيدي ، صلاح ، الاثار العربية ص ٥٠٧ .
٦ . فكري ، احمد ، التأثيرات الفنية الاسلامية على الفنون الاوربية . سومر . الجزء الاول والثاني . المجلد الثالث والعشرون ١٩٦٧ ص ٧٩ .
٧ . عبدالحميد ، سعد زغلول ، العمارة والفنون في دولة الاسلام . الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية ص ٣٩٦ .
٨ . شافعي ، المصدر السابق ص ٢٧٢ .
٩ . شافعي ، المصدر السابق ص ١٣٧ .
١٠ . فكري ، المصدر السابق ص ٧١ ـ ٧٢ .